رأي القدس

تحالف الشر: بلير ـ بوش

■ يواجه توني بلير رئيس وزراء بريطانيا حملة عنيفة من الانتقادات، سواء من قبل رجالات حزبه او من اجهزة الاعلام البريطانية، بسبب انحيازه الكامل للعدوان الاسرائيلي الحالي على لبنان، ومعارضته لوقف اطلاق النار.

منتقدو بلير يقولون انه بالغ كثيراً في تبنيه للسياسات الامريكية في الشرق الاوسط، وخاصة في العراق ولبنان، تحت ذريعة العلاقات الخاصة بين لندن وواشنطن التي وصفها دائماً، بانها جزء اساسي في الاستراتيجية البريطانية الحالية.

بلير توجه امس الى واشنطن للقاء الرئيس بوش لبحث الموقف الراهن في لبنان، في ما وصف بانه آخر فرصة بالنسبة اليه لاثبات استقلاليته، وممارسة نفوذه على صناع القرار في البيت الابيض لوقف الحرب الدائرة في لبنان.

فالبريطانيون، والطبقة السياسية والاعلامية منهم على وجه الخصوص، باتوا يشعرون ان بلير اهان كرامتهم عندما تصرف تصرف التابع، وليس الشريك، في تعامله مع الادارة الامريكية، وحول العلاقة الخاصة بين البلدين الى طريق من اتجاه واحد، اي اوامر من البيت الابيض وتنفيذ كامل من جانب حكومة حزب العمال الحاكمة في لندن.

وكان من الطبيعي ان ينعكس هذا الاستياء في مقالات وتصريحات انتقادية في الصحف البريطانية، حيث ترددت انباء عن وجود حالة «تمرد» في اوساط نواب حزب العمال في مجلس العموم البريطاني ضد رئيسهم، وتهديد عدد من الوزراء في الحكومة بالاستقالة احتجاجاً.

توني بلير خدع نواب حزبه مثلما خدع مواطنيه، عندما ذهب الى الحرب في العراق بناء على اكاذيب حول اسلحة الدمار الشامل ومن أجل مساندة صديقه وحليفه جورج بوش الابن، وتكريس العلاقات الخاصة الامريكية البريطانية.

ومن المفارقة ان بلير ظل يبرر هذا الموقف المستهجن الذي قوبل بمعارضة نسبة كبيرة من نواب حزبه واستقالة عدد من الوزراء في حكومته، مثل روبن كوك وزير الخارجية وكلير شورت وزيرة التنمية الخارجية، بالقول انه يساند واشنطن في العراق من اجل دعم مسيرة السلام في الشرق الاوسط، والوصول الى تسوية للقضية الفلسطينية تؤدي الى قيام دولة فلسطينية قابلة للحياة.

توني بلير لم يمارس اي نفوذ حقيقي على الادارة الامريكية من اجل تسوية قضية فلسطين، وحتى اذا كان قد مارس هذا النفوذ فعلاً، فان النتائج جاءت متواضعة جدا. فالدولة الفلسطينية التي وعد الرئيس بوش بقيامها قبل عام 2005 في محاولة من جانبه لامتصاص النقمة العربية والاسلامية ضد عدوان بلاده في العراق، لم تقم، ولا يوجد اي مؤشر في الافق يوحي بانه ستقوم قبل نهاية ولاية الجمهوريين الثانية.

بلير خذل شعبه، مثلما خذل العرب والمسلمين ايضا، ووقف الى جانب عدوان اسرائيلي ادى الى تدمير بلد ديمقراطي اسمه لبنان، وقتل اكثر من ستمئة شخص من ابنائه، ثلثهم من الاطفال، وتشريد مليون شخص على الاقل من قراهم ومدنهم وبلداتهم. ومثل هذه المواقف هي التي تشجع التطرف ومنظماته، وتهدد امن مواطني بلاده ومصالحها في العالمين العربي والاسلامي.

من الصعب بناء آمال عريضة على زيارته الحالية لواشنطن في الوصول الى وقف لاطلاق النار لان الادارة الامريكية تعامله كموظف عندها وليس كشريك يجب ان تستمع لآرائه، واذا تبلورت قناعة امريكية بضرورة اصدار قرار عن مجلس الامن الدولي بوقف اطلاق النار، فان مرد ذلك هو فشل القوات الاسرائيلية في تحقيق اهدافها من هذا العدوان، اي انهاء وجود حزب الله العسكري، واقامة منطقة عازلة في الجنوب بعمق عشرين كيلومتراً.

توني بلير استطاع تحقيق انجازات كبيرة لحزبه ومواطنيه عندما قاد هذا الحزب الى السلطة بعد ما يقرب من العشرين عاماً في تيه المعارضة والانقسامات الداخلية، وحقق طفرة اقتصادية جيدة رفعت من مستوى معيشة البريطانيين والخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية التي يتمتعون بها، ولكنه اطاح بمعظم هذه الانجازات عندما تحول الى اداة في يد اللوبي الاسرائيلي والمحافظين الجدد في واشنطن، وسيخرج من الحكم ولعنة الحربين في العراق ولبنان تطارده حتى باب المحكمة التي ربما يمثل امامها كمجرم حرب.

قوة الرأي العام

حكم البابا

■ رغم أن اسرائيل تعيش حالة حرب، وتتلقى مدنها ومستوطناتها صواريخ حزب الله يومياً، لم أسمع أحداً يخون الألفي اسرائيلي الذين تظاهروا في تل أبيب معترضين على الحرب الهمجية التي تشنها اسرائيل ضد لبنان، ولم تتصد لهم الشرطة الاسرائيلية بالعصي والغاز المسيل للدموع، ولم يعتقل النائب في الكنيست الاسرائيلي ـ الفلسطيني الأصل ـ عزمي بشارة، لأنه ظهر على كل الشاشات العربية، وأخذ راحته الكاملة بالتنديد بسياسة حكومة اسرائيل العدوانية، رغم أنه عضو في البرلمان الذي أعطى الثقة لهذه الحكومة، ولم يطالب أحد بطرده من الكنيست وتجريمه ومعاقبته، واستراتيجية العرب بمن فيهم حزب الله تعتمد كلياً ـ الآن كما دائماً وفي كل حرب خاضوها ـ على تطويل أمد الحرب، كي يتحرك الرأي العام الاسرائيلي، مطالباً حكومته بوقف الحرب، لأنه لا يريد العيش في الملاجئ، وأكثر ماتخشاه حكومة اسرائيل في كل حرب تخوضها مع العرب هو الرأي العام لديها، لأنها تعرف أن باستطاعة هذا الرأي العام ليس فقط الضغط عليها لايقاف أية حرب، وإنما أيضاً بمقدوره اسقاطها.

العرب يعرفون هذه الحقيقة جيداً، ولكنهم باعتبارهم أكثر الشعوب إبداعاً في اختراع ألفاظ وصيغ التعزية والتسرية عن النفس، التي تكاد تقنع أهل الميت بأنه أكثر حياة منهم، وباعتبارهم أخصائيين في تجميل الهزائم وتلطيفها وتعطيرها، إلى الحد الذي سموا فيه كبرى هزائم العرب التي تمثلت بإعلان دولة اسرائيل عام 1948 نكبة، وهو لفظ يناسب فقدان موظف راتبه الشهري ليس أكثر، وأطلقوا على هزيمة جيشين عربيين لدولتي المواجهة الوحيدتين مع اسرائيل عام 1967نكسة، وهو لفظ يليق بعائلة تصدم برسوب ابنها في البكالوريا ليس أكثر، هؤلاء العرب وجدوا أن أفضل تفسير لقوة الرأي العام الاسرائيلي، وسيطرته وسطوته، وخوف كل حكومات اسرائيل منه، هو أن الاسرائيليين شعب جبان، يعيش على نصيحة ماري أنطوانيت فيأكل الكاتو بدلاً من الخبز، ولا يتحمل الحروب ولا العيش في الملاجئ، وأي حرب طويلة قادرة على اجبار الاسرائيليين على ترك منازلهم والهجرة خارج اسرائيل.

أحد أهم مشاكل العرب أنهم لايعترفون برأي عام في بلادهم، ومنعاً لتكونه أو ظهوره ازدهرت السجون السياسية في كل البلاد العربية، باعتبارها مع ثروات المسؤولين الشيئين الوحيدين اللذين حققا ازدهاراً في كل الوطن العربي، وخلال خمسين عاماً من الصراع مع العدو الاسرائيلي، لم تخرج مظاهرة في العالم العربي، حتى لو كانت من أجل فلسطين، إلاّ إذا كانت تخدم سياسات معلنة أو خفية للأنظمة العربية، وعاش الشعب العربي كله في الملاجئ الحقيقية أو الرمزية دون أن يفكر في الاعتراض، ولم تسقط أقسى الهزائم التي عاشها العرب أية حكومة عربية، أو تزحزح حتى المسؤولين من درجات مدنية من أماكنهم، أو تنهي مستقبلاً سياسياً لأي ذي منصب عربي، في حين يمكن لفضيحة تحرش جنسي أو رشوة أن تنهي مستقبلاً سياسياً لأي مسؤول اسرائيلي، بل بالعكس فكل المسؤولين عن الهزائم العربية ثبتوا في مناصبهم، إن لم يترقوا إلى مناصب أعلى وأكثر صلة بالقرار.

واليوم يكرر العرب تجاهلهم للرأي العام العربي في الحرب الوحشية التي تشنها اسرائيل على لبنان، فأي كلام أو انتقاد للتوقيت الذي اختاره حزب الله لخطف الجنديين الاسرائيليين، وأي تساؤل يوجه لهذا الحزب عما إذا كان قد وضع في اعتباره ردة الفعل الاسرائيلية أو الظروف العربية والدولية، يتحول أصحابه إلى خونة ومتخاذلين وانهزاميين، وتبحث لهم عن ارتباطات بوكالة المخابرات الأمريكية والموساد الاسرائيلي، ويبحث في أرصدتهم عن المبالغ التي حولتها السعودية لهم، ويطالب بمحاكمتهم باعتبارهم خونة وعملاء ومرتزقة، مع أن الذين يجب أن يحاكموا هم كل القادة العرب المسؤولين الحقيقيين عن هزائم العرب، الذين لم يحاربوا إلا في التلفزيونات، وأهم الفرق التي قادوها هي فرق الدبكة، وكل انتصاراتهم التي حققوها كانت في ساحات الاستكشات الغنائية.

كونا في حالة حرب لا يعني بالضرورة أن نلغي التفكير، ونمنح العقل إجازة بلا راتب، ونؤجل مناقشة مصيرنا المهدد، والتخوين سهل، لكن الصعب فعلاً هو تحقيق انتصار جدي على اسرائيل، فقد سئمنا من الانتصارات الاعلامية، ومن البطولات الوهمية، ومن ازدياد مساحات مقابر الشهداء في مقابل تقلص مساحة الأرض العربية والتفكير العربي، والحرية في البلاد العربية والتي بدونها لن نحقق أي انتصار حتى لو كان خصمنا في المواجهة جزر الكناري وليس اسرائيل، وأرجوكم تساءلوا معي لو كان الدمار الذي حل بلبنان قد حل باسرائيل، ما الذي كان سيحدث؟

المحور السعودي المصري الأردني في خدمة «الحل الصهيوني»

عودة «دبلوماسية دفتر الشيكات» لتصفية المقاومة ونزع سلاح حزب الله

محمد عبدالحكم دياب *

■ يلمس الإنسان اثر ما يحدث في لبنان على الحياة السياسية والعامة في مصر، بعد أن أعادت المقاومة الاعتبار إلى نهج المقاومة وثقافتها، وما قامت به الحكومة المصرية لإبعاد الأنظار عن إنجازات المقاومة أتى أثره العكسي، فرفع أسعار الوقود ومواد الطاقة، وزيادة أسعار بطاقات السفر بالحافلات العامة والسكك الحديدية بنسب وصلت إلى خمسين في المئة وغير ذلك من سلع وبضائع، أثار السخط وزاد من معدل الاحتقان، وعمق النظرة المتدنية إلى العصبة الحاكمة، باعتبارها استعمارا داخليا، أكثر خطورة من الاحتلال الأجنبي، وبين ليلة وضحاها صارت المقاومة هدفا يسعى كثير من المصريين إلى بلوغه وممارسته على الطريقة اللبنانية.

ويشعر المراقب بأن الغالبية العظمى تنظر إلى معركة المقاومة باعتبارها معركتها، وأن همها الأول هو البحث عن سبل تقديم العون والدعم لها، ونحن هنا لا نتجاهل وجود جيوب، من آحاد البشر، ذوي جلابيب بيضاء ولحى كثة، ترفض مناصرة المقاومة وتأييدها، مبرزين فهما عقيما ومغرضا لما يجري على الأرض، باعتباره عملا مذهبيا وطائفيا، وهؤلاء لا يملكون بديلا للتعصب المذهبي في نظرتهم لهذا النموذج المثالي للمقاومة، ويعطون له الأولوية على الانتماء للوطن أو الأمة أو الشعب. وهذا دأب جماعات سلفية منغلقة.. تفضل الدوران في فلك أي محور تدخله أو تقوده المملكة السعودية، وسواء وعت هذه الجيوب أو لم تع فقد وضعت نفسها في الخندق الصهيوني.

تحولت مواقع كثيرة في مصر إلى ما يشبه خلايا النحل، ترجمة للتأييد الشعبي الواسع، للمقاومة اللبنانية وحزب الله، إلى إجراءات وخطوات عملية، وهو شيء لا يجد مواكبة من الإعلام بالمستوى المطلوب. المهم أن خلايا النحل، التي تابعت بعضها في مقرات نقابات الصحافيين والمحامين والأطباء، واتحاد المحامين العرب، وحركة «كفاية»، وكان من الصعب أن تجد قوة وطنية أو عضوا وطنيا غائبا عن المشاركة، بدرجة من الدرجات، خاصة النشطاء في جماعات التغيير الجديدة، التي ظهرت خلال العامين الماضيين، ولوحظ قلة حضور المنظمات والهيئات الأهلية، تلك التي تمول من المؤسسات الأمريكية والكندية والأوروبية، وبدت هامشية، واكتفى عدد منها بإصدار بيانات ببغاوية هزيلة، وكذا كان الحزب الحاكم.. يردد كلاما سطحيا منسوبا إلى «خبراء ومحللين استراتيجيين» حزبيين، لتأييد الموقف الرسمي المصري المتواطئ، ووصف المواجهة مع الدولة الصهيونية بالمغامرة والعمل الخيالي، واعتباره نوعا من الأحلام، وأي موقف عسكري داعم للمقاومة بعدم العقلانية.

البديل الذي طرحه الحزب الحاكم هو استمرار الاستجداء والتسليم بقوة الدولة الصهيونية وعدم التصدي لها، وكم استهزأ البعض لمثل هذا الكلام لتناقضه، في وقت يقوم فيه حزب الله بضرب الدولة الصهيونية في العمق، وبدأت الأسئلة تطرح حول أسباب عجز أغلب الجيوش العربية عن منازلة الاحتلال الصهيوني، وأخرى حول مبرر الصرف على تدريب وتسليح الجيوش التي ليس لها في الدفاع عن الأوطان أو تحريرها، بجانب أن المنطق الرسمي العربي أقر بالهزيمة الكاملة، تجنبا لدخول معركة، إن لم تفرض عليه اليوم فغدا، ويرى البعض أن الجيوش التي تستنزف الموارد، ولا توفر الأمان لمواطنيها أو تدافع عن شعوبها، لا مبرر لوجودها، ولا جدوى من الصرف عليها أصلا، والمشكلة الحقيقية الآن هي فيما تسببت فيه المقاومة اللبنانية وحزب الله، من فقدان الثقة في كثير من الجيوش. أما التسليح الذي يقتطع من ميزانيات الغذاء والكساء والتعليم والصحة، في بلاد تقطع من قوتها وتحرم نفسها لتوفر الأمان، ولا يستخدم في هذه الظروف، فمعنى ذلك أنه ليس للدفاع أو مواجهة الخطر الذي يتهددها، ويتحول يوم يحتاجه العدو إلى رديف يحميه من خطر التوجهات الاستقلالية، وقد يوظفه لنزع سلاح الأمة، وليس سلاح المقاومة فقط.

وكما قبل النظام الرسمي العربي بتمويل الحروب التي شنت على العرب في العقدين الماضيين، وقبلت دول منتسبة إليه بالمشاركة وتقديم كل سبل الدعم لغزو المنطقة، فإن موقفه الراهن هو الانصياع للمخطط الموضوع من قبل الإدارة الأمريكية لمقاومة المقاومة وتصفيتها، وهو مخطط من المقرر أن ينفذ على عدة مستويات:

المستوى الأول هو الضغط الذي تتولاه المؤسسة العسكرية الصهيونية، مدعومة بأحدث ما أنتجت ترسانة الحرب الأمريكية، ومؤيدة من المنظومة الصهيو غربية بما لها من نفوذ وسيطرة على القرار الغربي. والمستوى الثاني يتم عن طريق المهام الموكولة للمحور السعودي المصري الأردني، واستخدامه كجسر يعبر عليه المجهود السياسي والعسكري الصهيو غربي. على غرار ما حدث مع العراق. والمستوى الثالث هو إعادة الحياة إلى «دبلوماسية دفتر الشيكات»، التي برعت فيها السعودية، في مرحلة التحول من نقل المنطقة من الحقبة القومية إلى الحقبة السعودية الإنعزالية الطائفية. في صورة «رشاوى مالية» تيسر الاختراقات المطلوبة، وبدأت بصفقة سلاح مع فرنسا، تقدر بحوالي أربعة مليار دولار، ثمنا لسلاح لا يستخدم، ومساعدة في تشغيل مصانع السلاح الفرنسية، وشد فرنسا نحو السعودية، من أجل أن يبقى الشأن اللبناني شأنا صهيونيا أمريكيا، لا شأن لفرنسا به، واعتمدت المملكة السعودية مبلغ مليار دولار للحكومة اللبنانية، ونحن لسنا ضد دعم لبنان حكومة وشعبا، لكن هذا الدعم المالي، غير البريء، هدفه وضع الحكومة في مواجهة المقاومة، وتثبيت أقدام الاحتلال، ونزع سلاح حزب الله، وهذا بمثابة جريمة وطنية وقومية ودينية متكاملة الأركان، ولنفس الهدف رصدت السعودية مبلغ 250 مليون دولار للسلطة الفلسطينية، لعزل المقاومة الفلسطينية، عن شقيقتها اللبنانية، وضرب احتمالات للتعاون بينهما. والمستوى الرابع هو ضخ دماء جديدة في شرايين «الشرعية الصهيونية»، التعبير الراهن عن الشرعية الدولية بحيث يكون مؤتمر روما أساس هذا الاستمرار، وذلك تجاوز احتمالات التعريب أو التدويل الحقيقي، وفرض شرعية دولية «مصهينة» لتسير الأوضاع لصالح الاستيطان والاحتلال والعنصرية وتوسيع دائرة نفوذ الصهاينة العرب، الذين يلعبون دورا حاسما في صهينة النظام الرسمي العربي.

وتهدف دبلوماسية «دفتر الشيكات» كذلك دعم تيار المستقبل (لاحظوا الاسم مقارنة بجيل المستقبل الذي يتولاه جمال مبارك) وتوظيف تيار 14 اذار (مارس) للمهمة التي تأسس من أجلها، وتراهن على عودة الحرب الأهلية، لصلحة «الفوضى الخلاقة» !!.

وعند العودة مرة أخرى إلى مصر، نجد أن المصريين أصبحوا لا يكتفون بالشجب والاستنكار والتظاهر، وانتشرت غرف عمليات من أقصى مصر إلى أقصاها، مع وجود حالة من الاستنفار العام، والهدف هو التغلب على بطش الأمن الذي يمنعهم من تقديم الدعم والمالي والعيني للمقاومة اللبنانية والفلسطينية والعراقية، ومن يزور القاهرة هذه الأيام يلحظ أنها في طريقها لاسترداد بعض عافيتها، الشعبية والقومية، فالوفود الشعبية والوطنية العربية تتوافد عليها وعقدت فيها اجتماعات الاتحادات المهنية العربية، من محامين وصيادلة ومعلمين ومهندسين وصحافيين وأطباء وغيرهم، وممثلين عن المؤتمر القومي العربي، على رأسهم أمينه العام خالد السفياني، وممثلين عن المؤتمر القومي الإسلامي ومؤتمر الأحزاب العربية، وهذه المنظمات والاتحادات والمؤتمرات اعتبرت نفسها في حال انعقاد دائم لتلبية ما يطلب من دعم تأييد.

وإن كان هذا قد أعاد للقاهرة بعض ألقها، إلا أنه معرض للانتكاس، بسبب الموقف الرسمي المتخاذل، وإذا ما استمر حسني مبارك، مع ابنه «الرئيس الموازي» في التصدي للتيار الشعبي الغاضب، فمن المتوقع ألا يمر ذلك بسلام، وبدا حسني مبارك مرتبكا في مواقفه وتصرفاته وتصريحاته الأخيرة، وصلت إلى حد عتبه على الإدارة الأمريكية التي وضعت السعودية على رأس محور الخذلان العربي وتجاهلته، فلم تزره كوندوليزا رايس ولم تشمله في برنامج اتصالاتها، ولم تقبل واشنطن استقبال وزير خارجيته، كما استقبلت سعود الفيصل، وزير الخارجية السعودي. فذهب مسرعا إلى السعودية مبديا القلق واصفا ما تقوم به أمريكا في المنطقة بـ«الفوضى الهدامة»، ونحن نختلف مع البعض الذي اعتبر هذه اللغة تغييرا في الخطاب الرسمي المصري، فقول المضطر، الباقي على عهده، نشطا وتابعا للتحالف الصهيو غربي، غير لغة صاحب الموقف الوطني والرأي المستقل، ويلمس الإنسان بعض هذا بنفسه، فحين ذهبنا لحضور أمسية شعرية، لدعم المقاومة في لبنان والعراق وفلسطين، وكم كان المنظر صادما لكل الأعين، المصرية والعربية والأجنبية، عندما وجدوا نقابة الصحافيين، التي أقيمت فيها الأمسية، محاصرة بجحافل الأمن المركزي وفرق الكارتية البوليسية والبلطجية، لإرهاب الحاضرين، وبلغ عدد قوات الأمن التي تحاصر مبنى النقابة أضعاف عدد المدعوين، وأمسية شعرية تثير كل هذا، ويواجهها حسني مبارك بهذا الكم من القوات الباطشة فإن هذا يعني الكثير.

من جهة أخرى فإن استمرار المنازلة بين المقاومة اللبنانية وعدوها الصهيوني، مع مشاركة فلسطينية، وعمق شعبي عربي، هذا حقق، لأول مرة، نوعا من الردع الاستراتيجي، إلا أن هذا الردع من نوع مختلف، فهو ردع يصنعه الشعب، مما وضع مستقبل الكيان الصهيوني نفسه على المحك وجعله محل تساؤل، وهذا يرشح ما يجري ليكون بداية العد التنازلي لاختفاء آخر الكيانات الاستيطانية العنصرية، كما اختفى الكيان الاستيطاني الجنوب إفريقي، ووضع كذلك مستقبل الحكام العرب على المحك. ومن المتوقع أن يرفع هذا من وتيرة العمل لتقريب يوم التحرير والعودة، ويطور العلاقة بين قوى المقاومة العربية، لتتسع جبهة المنازلة، ولـيزيد التحريض ضد النظام العربي الرسمي بسبب عجزه البالغ. وهذا ما نراه في مصر التي يقع فيها حسني مبارك تحت ضغط قوي يطالبه قطع العلاقات السياسية مع الدولة الصهيونية وطرد سفيرها من القاهرة، وتجميد العمل بمعاهدة «كامب ديفيد»، فلا شيء هناك يستطيع أن يقدمه حسني مبارك، ولا رهان من جانب الشعب على شيء لديه. وفي النهاية فإن المحور السعودي المصري الأردني وامتداداته، مخطط له أن يفرض «الحل الصهيوني» إعدادا وتمويلا ومشاركة، ولهم سوابقهم في هذا الصدد، إلا أن احتمال ذلك ضعيف.. فالمنازلة دخلت أسبوعها الثالث، والمقاومة ما زالت تحتفظ بقوتها وقدرتها على الضرب الموجع.. وهذه الحرب وإن بدأتها الدولة الصهيونية فسوف تتولاها الإدارة الأمريكية، ومن المتوقع أن تتحول إلى حرب أمريكية. مباشرة، وهذا هو التحدي الأكبر أمام الأمة العربية والعالم الإسلامي.

* كاتب من مصر يقيم في لندن

المقاومة الفلسطينية والعراقية واللبنانية هي التي ستحقق السلام

هيفاء زنكنة *

■ لقد نجح نوري المالكي، رئيس وزراء حكومة الاحتلال، يوم 26 تموز (يوليو) في اداء المهمة التي كلفته بها ادارة الاحتلال. حيث سارع بالذهاب الى واشنطن حالما تم استدعاؤه وفق التوقيت الملائم للادارة الامريكية. مما يعيد الى الاذهان قصة استدعائه المهينة من قبل سفارة الاحتلال الامريكي في بغداد، قبل اسابيع، عندما تم تبليغه بوجوب الحضور للقاء مهم ولم يبلغ بهوية من سيلتقي به، فوصل شاحبا لاهثا واجما وازداد وجهه شحوبا حين علم، قبل اللقاء بخمس دقائق فقط، بانه سيلتقي برب عمله جورج بوش. كما نجح في تحقيق هدفين آخرين، كلاهما لصالح الادارة الامريكية ولاعلاقة لهما بالشعب العراقي او الفلسطيني او اللبناني.

ان غرض استدعاء المالكي الى واشنطن وعدم الاكتفاء بزيارات المسؤولين الامريكيين والبريطانيين (المفاجئة تحت جنح الظلام) الى العراق هو لتحقيق نصر اعلامي امريكي ملح في وقت صعب. يهدف النصر الى تبييض وجه الادارة الامريكية ازاء فشل سياستها في العراق وتزايد عدد قتلاها وجرحاها المعطوبين جسديا وعقليا الى الابد ومطالبة شرائح واسعة من الشعب الامريكي بسحب القوات الامريكية حفاظا على سلامة ابنائهم من الجنود. لئلا يقتلوا في حرب غير مجدية، حسب تعبير امريكي بات شائعا.

توقيت استدعاء المالكي تماشى ايضا مع مواصلة قوات الاحتلال الامريكي وبمعاونة وكلائها في العراق بنحر المواطنين، تضييق الحياة عليهم، مداهمتهم وقتلهم واغتصاب النساء وتهديم المباني على ساكنيها وتجربة انواع جديدة من اسلحة مصانع القتل الامريكية. كل ذلك بحجة تزايد الاقتتال الطائفي والحاجة الماسة الى بقاء قوات الاحتلال بل والمطالبة بزيادة عددها ومدة بقائها.

ويأتي توقيتها، عربيا ملائما، مع تصاعد الهجمة الصهيونية على الشعب الفلسطيني قتلا وتشريدا وتجويعا وحصارا. وهي، ايضا، متزامنة مع ابشع عدوان صهيوني يتعرض له لبنان ومواطنوه المستهدفون بالاسلحة المحرمة دوليا من القنابل العنقودية الى الفسفورالابيض والقصف المستهدف لعموم البنية التحتية في البلاد. وهو الهجوم الصهيوني المسعور الذي ترغب امريكا، حسب تصريحات مسؤوليها واهمهم وزيرة الخارجية كوندليزا رايس، باستمراره لحين التخلص تماما وجذريا من المقاومة الفلسطينية واللبنانية، كما العراقية، لفرض مخططهم التوسعي الهادف الى حكم بلدان خالية من الشعوب المقاومة والمقتصرة على الخدم والعبيد.

ان المالكي لم يذهب الى واشنطن لانه ضد الاحتلال (كما يصرح كل سياسي الحكومة واحزاب الاحتلال الآن) وبصدد وضع جدول زمني لانسحاب قوات الاحتلال كما ادعى على لسان حزبه، أي حزب الدعوة الاسلامي، قبل تعيينه رئيسا للوزراء. بل ان الرجل والحق يقال لم يذكر كلمة الاحتلال اطلاقا. ولم يذهب للمطالبة بمعرفة نتائج التحقيق في جرائم قوات الاحتلال بحق المواطن العراقي بدءا من جرائم دهس المواطنين بالدبابات والشاحنات الامريكية وانتهاء بالاغتصاب والتعذيب وتهديم البيوت على عوائل بكاملها كما في حديثة والاسحاقي والقائم. ولم يتوجه طلبا لوضع العدادات على اجهزة ضخ النفط العراقي حماية للثروة الوطنية او تقليلا لساعات الانتظار المريرة الطويلة التي يقضيها المواطن تحت اشعة الشمس في صيف العراق الحارق امام محطات البنزين او نقاط التفتيش لدخول مدينته او بيته، الى ان تستيقظ كلاب المحتل الامريكي التي يجب ان تنال قسطها من الراحة، كما ذكر رئيس البرلمان العراقي في الاسبوع الماضي متذمرا.

والاهم من ذلك كله ان المالكي لم يذهب الى واشنطن ليستنكر جرائم الاحتلال الصهيوني ضد الشعبين الفلسطيني واللبناني.

لقد تم استدعاء المالكي الى واشنطن لان الادارة الامريكية، مثل ربيبتها الصهيونية، لا تهتم الا بتفسيرها الخاص للوطنية والديمقراطية وحقوق الانسان، فكانت بحاجة الى دمية تردد كلماتها وشعاراتها عن الوطنية والديمقراطية وحقوق الانسان ومحاربة الارهاب، لاضفاء المصداقية على سياسة الاحتلال الامريكي امام مواطنيها. لقد استدعي المالكي ليؤدي عرضين معينين. الاول هو الوقوف بجانب بوش في المؤتمر الصحافي ليؤكد سياسة بوش وديمقراطيته حتى حين ينتقد. والثاني لقراءة خطابه المكتوب الذي اعترف المتحدث باسم البيت الابيض بان (مناقشات جرت بين شخصيات رسمية امريكية وعراقية حول مضمون خطاب المالكي) امام الكونغرس. هذه المرة ليمنح المواطن الامريكي، اكثر من اعضاء الكونغرس، الاحساس بالثقة بسياسة حكومته وان ما تقوم به هو شرعي واخلاقي ولصالح الشعوب المحتلة وحماية لمصالحها ودفاعا عن امن وسلامة الامريكي ضد الارهاب العالمي.

وهل هناك ما هو اكثر تأثيرا من جلب رئيس وزراء البلد (المحرر) لسماعه متغنيا بالحرية والديمقراطية في ظل علم التحرير الامريكي، وتأكيده بان الإرهاب (الكلمة المفضلة لدى الادارة الامريكية) هو الخطر الأكبر الذي يواجهه العراق حاليا، مشيرا إلى أن العراق جزء من الحرب الحقيقية ضد الإرهاب، وهو الجبهة المتقدمة لهذه الحرب. وهاجم المالكي الإرهابيين قائلا إنهم يستهينون بكل قيم الحياة الإنسانية، وينشرون الكراهية ويرتدون عباءة الإسلام.(متناسيا بان حزبه هو الآخر يرتدي عباءة الاسلام).

ان الادارة الامريكية المقبلة على حملة انتخابات بحاجة ماسة الى من يحول هجومها الهمجي على شعوب ثلاثة بلدان في آن واحد وارهابها البشع ضد المدنيين العزل الى عمل انساني يهدف الى بناء مستقبل افضل، والى من يشكرها ويقدر تضحية الجنود الامريكيين وشجاعتهم فكان المالكي خير بوق خاصة وهو يؤكد بأن العراق الجديد يقوم على الحرية واحترام حقوق الإنسان، ونجاح العراق في تشكيل حكومة وحدة وطنية، وتحوله من دولة تقوم على حكم النخبة، إلى التعددية التي يتنافس فيها كافة الأحزاب!

ولأن رائحة الاكاذيب والنفاق والتضليل الاعلامي في ظل (الحرية الامريكية) باتت تزكم الانوف، ولان الادارة الامريكية حريصة على الرغم من كل جرائمها ضد العراقيين والفلسطينيين واللبنانيين على ان يبدو عملاؤها ديمقراطيين ووطنيين، تم السماح للمالكي بان يطلق جملة استنكاره ضد الهجوم الاسرائيلي على لبنان بعد ان اصغى مثل التلميذ الصغير لبوش وهو يخبره بأن القوات الأمريكية ستنفذ مع القوات العراقية خطة جديدة في العاصمة بغداد لبسط الأمن فيها، وإن قوات أمريكية متمركزة الآن في مدن عراقية مختلفة سيتم نقلها إلى بغداد في إطار هذه الخطة. وأن من مصلحة بلاده أن تكون في العراق حكومة وحدة وطنية!

وسرعان ما تم استخدام التصريح اليتيم لصالح سياسة امريكا وحرصها الشديد على اصول الديمقراطية والسيادة الوطنية العراقية. حيث قال سنو، المتحدث باسم البيت الابيض، ان الرئيس بوش ليس متخصصا بمسرح الدمى ولا يحرك رئيس الوزراء المالكي. واضاف ان المالكي قيادي منتخب حسب الاصول لدول تتمتع بالسيادة ومن حقه ان تكون له آراؤه. وفي الوقت الذي كان فيه المالكي يغني اغنية (محاربة الارهاب في العراق) على ايقاع تصفيق اعضاء الكونغرس الامريكي، كانت وزيرة الخارجية الامريكية كوندليزا رايس تزور الكيان الصهيوني لتجري محادثات التنسيق العسكري والسياسي مع الحكومة الصهيونية مؤكدة قبل بدء المحادثات أن الوقت قد حان لظهور شرق أوسط جديد. وشددت على أن الحل الدائم يجب أن يكون حلاً يعزز قوى السلام والديمقراطية في المنطقة.

في الوقت نفسه، نجحت المقاومة العراقية في قتل اثنين من قوات الاحتلال الامريكي، حسب الناطق العسكري الأمريكي، في عملية نفذت في محافظة الأنبار غرب العراق، ليرتفع إلى 2562 عدد القتلى الأمريكيين الذين سقطوا في العراق منذ اجتياحه عام 2003، استنادا إلى إحصائيات البنتاغون. كما نجحت قوات المقاومة اللبنانية المتمثلة بحزب الله في قتل ثمانية جنود صهاينة والحاق الخسائر بسرية دفاع.

ان المعركة ضد الاحتلال الامريكي ـ الصهيوني وعدوانه الهمجي واحدة في العراق وفلسطين ولبنان. وسيؤدي فعل المقاومة الشعبية الموحد المدافع عن كرامة الانسان وعزته بنفسه وهويته الى الاعتزاز بالحياة وتحقيق السلام المبني على العدالة الانسانية. لقد اثبتت لنا العقود الاخيرة بان الاستسلام ومحاولة تكريس العبودية لن يحققا السلام اطلاقا على الرغم من كل ادعاءات التضليل والتزييف التي يحاول خدم الاحتلال وعبيده ترويجها بين الشعوب.

* كاتبة من العراق

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(212 37)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364